

ابن سينا . الحسين بن
عبد الوهاب

الدكتور هادي ناعمة
كلية الآداب

يعد ابن سينا من أبرز العلماء ذوي الثقافة الجامعة، والتأليف
البارع، والاسلوب الرصين، ويستطيع دارس آثاره أن يسلكها في ثلاثة
ألوان

أولها ثقافته العلمية من طب ونفس وطبيعة وفلك ورياضيات
وثانيها ثقافته الفلسفية والصوفية وتشمل ماله من بحوث فيما وراء
الطبيعة والحكمة والمنطق والأخلاق والنبوة والسياسة . وثالثها ثقافته
الادبية وما تنطوي عليه من تفسير ومناظرات ولغة وصوتيات ونقد
وبحوث ورسائل وسيرة ذاتية وقصة قصيرة وشعر .

وآزر هذه العناية أنه كان يخوض في علوم النفس وأحوالها
والحق أن القارئ يأخذ العجب وهو يطلع على الجانب التربوي
عنده ، فقد أشار الى أهمية الانتباه في التذكر ، وأن الصبيان
أكثر حفظا لان نفوسهم غير مشغولة بما تشغل به نفوس
البالغين ، وحذر من تعريض الاطفال الى غضب او خوف او غم
شديد .

واهم التي بحث فيها الطبيعيات كتاب الشفاء ، ولم يفرد
لها ، اذ درس الى جانبها الرياضة والمنطق ، وما بعد الطبيعة
ويهمنا هذا القسم الذي تناول فيه الطبيعيات والنبات والحيوان
والمعادن فقد تكلم على الجبال ، وذهب الى انها تكونت من
طين لزج على طول الزمان ، وتحجر في مدد لايمكن ضبطها
وكأنما هذه المعمورة كانت في سالف الايام غير معمورة
بل معمورة في البحار ، فتحجرت في مدد لاتفي التأريخات بحفظ
أطرافها ، واعقب ذلك كلامه على الزلازل وسرعة الصوت وسرعة
الضوء والسحاب والطل والمقيع والثلج والبرد والضباب والهالة وقوس
قزح والشمسيات والنيازك والرياح والبرق والرعد .

ودرس ابو علي النبات في موضعين اساسيين ، درسه مرة
عندما تحدث عن الادوية المفردة في كتاب القانون (١) فوقف
على العقاقير النباتية ، والنباتات الشجرية والعشبية والزهرية
والفطرية والطحلبية ، ومواطنها ، والاثربة التي تنمو بها ، وفرق
بين النبات البستاني والنبات البري . ودرسه مرة اخرى في
كتاب الشفاء ، فتحدث عن تولده ، وذكره وانشاء ، وذهب الى
ان النبات قد شارك الحيوان في الانفعالات المتعلقة بالغذاء
وافاض القول في التطعيم ووسائله المختلفة ، واطرف ماله في
هذا العلم ، انه شخص النبات معتمدا على عصارته ورائحته
وطعمه .

ووصف ابن سينا في الجزء الخاص بالحيوان انواعه المائية
والبرية ، وأعضاءها المتشابهة وغير المتشابهة ، والعظام
والغضاريف والرباطات والشرابين والاوردة والاعشية والالياف
العصبية والرئة والقلب وانتقل الى التشريح المقارن بين
الحيوانات المتسوعة والطيور والاسماك .

واهتم في قسم المعادن بمشكلة تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفسية ، وهي مشكلة كانت مثارة بقوة في عصره فرأى ان ما يدعيه اصحاب الحيل والكيمياء من قدرتهم على هذا التحويل ما هو الا ضرب من الختل والخداع ، فهم لا يستطيعون قلب الانواع قلبا حقيقيا ، لان جواهرها لا تتغير ، وقسم الاجسام المعدنية الى ا حجار وذائبات وكباريت واملاح .

ومن يتابع آثاره في سائر معارفه العلمية من فلك ورياضيات وكيمياء .. ينته الى انه كان مجليا فيها جميعا ، وان كشوفه وابتكاراته فيها قد أورثت الانسانية ذخرا نفسيا وكبرا لا يقدر بثمن .

٢ - ثقافته الفلسفية والصوفية :

ألف ابن سينا في هذا اللون الثقافي كتابه الشفاء ، ثم اختصره في كتاب النجاة ، وألف فيه اسرار الحكمة المشرقية والمعاد والانصاف ومنطق المشرقيين والاشارات والتنبهات ، والعشق والتعليقات وتحصيل السعادة ، واثبات النبوات والسياسة ، وبحوثا كثيرة اخرى في الالهيات والحكمة والمنطق والتصوف والاخلاق والنبوة والسياسة .

ومن الحق ان ابن سينا لو اقتصر على ثقافته الاولى العلمية وصرف في دراستها تلك الاناء الطويلة التي صرفها في تحصيل الفلسفة والاشتغال بها ، لكان اجدى له وللانسانية ، وكان اجدى له لانه كان سيحتفظ بشخصيته المستقلة المتميزة ، ولا يغدو تبعا لارسطو ، كلا عليه في كثير من آرائه الفلسفية .

وكان اجدى للانسانية ، لان ابن سينا أراد ان يوحّد بين شيئين يستحيل اتحادهما ، وهما الوثيقة اليونانية والديانة الاسلامية ، ولم يتحر ان يأخذ الدين من مصدره الوحيد وهو الوحي الالهي ، وظن ان العقل وحده يعصمه ، وغفل عن ان ماجاء به العقل في هذه الشؤون قد هدمه العقل نفسه ، فخالف مذهب قديم افلاطون استأذه سقراط ، ثم جاء ارسطو فتتلمذ لافلاطون عشرين سنة في اكاديميته ، ثم لم يلبث ان خالفه ، وبسبب آراءه المنشقة في معهده ((اليسوم)) .

وكأن اعجاب ابن سينا بأستاذة اوهمه بأن كل مايقولـه صحيح ،سواء كان في علوم الحياة ،وفي الإلهيات ويوم القيامة .وعالم الغيب ،فتأثر به ونشط في تبني كثير من آرائـهـ ولازم مناهجه ،فاذا به يدلي بفكر تخالف الدين الحنيفـفـ خلافا خطيرا .

من ذلك ان المسلمين يعتقدون بشمول علم الله للماضي والحاضر والمستقبل ،وان الله لاتخفى عليه خافية ،((ويعلم ما في البر والبحر ،وما تسقط من ورقة الا يعلمها ،ولا حية في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين)) ولكن ابن سينا يعتقد ان الله لايدرك الجزئيات الا بوجه كليـ لانـه يعلمها علما مجردا عن الزمان .

ومن ذلك الصلاة ،فالاسلام يعدها ركنا من أركانه الخمسة ولكم ابن سينا لايراهـا واجبة على الخاصة والفلاسفة ،لانـهـا شرعت لتحقيق هدف معين ،وهو الاقبال على الله والتأمل فـي ملكوته ،والفلاسفة يقضون اعمارهم في التفكير والتجميد ،وبيان جلال الحق وجماله .

وأخطر من ذلك ان الشريعة تنزه الخالق عن شبه المخلوقات اذ ليس كمثله شيء ،ولا تدركه الابصار ،وهو يدرك الابصار ،وهو اللطيف الخبير . غير ان ابن سينا يخوض في نظرية الفيض ويؤءـله على نحو يسلم الى القول بوحدة الوجود ،وان كل جزء في هذا الكون انما هو جزء من الله .

ولو انتقلنا الى آثـاره الصوفية لوجدنا اشهر ماصنف فـي هذا الشأن كتاب الاشارات والتنبيهات ويعد هو وكتابا القانون والشفاء أحسن ما كتب وقد رسم في فصوله الثلاثة الاخيرة طريق السعادة فبين انه بمعرفة الله ،وللعارفين احوال ومقامات وكرامات وآيات ،فأفاض في كل ذلك .

وأعود هنا فأقول : لو ان ابن سينا صرف اوقاـتـه التي شغلها بدراسة التصوف في معارفه العلمية لكان اجـيـدـ له وللانسانية ،ذلك ان معالم التصوف التي رسمها لا تجديـفـ فيها ولا ابتكار ،اذ عمد الى تصوف الجنيد وامثاله فوصفـهـ واعانه اسلوبه على براعة الوصف . وهو ،على هذه البراعة

تجانب على أحد شقي التصوف، وهو الرياضة الروحية والمجاهدات التعبدية، وتوسع في شقه الآخر، وهو المعرفة العقلية، وخالف في حياته التطبيقية الشقيين معا . وكان يفرط في شهواته الجنسية الى ان اضر ذلك في مزاجه، وأورثه الصرع، وكان يسرف في طعامه واحتسائه الخمرة حتى أصيب بالقولنج .

٣ - ثقافته الأدبية :

مما زاد أعمال ابن سينا تأثيرا أنه دونها بأسلوب بارع ولغة واضحة، وعبارات فصيحة، فغطى ذلك كثيرا ممن شحاته وقد اشتمل كتاب جامع البدائع على ثلاث رسائل أوبحوث له في تفسير سورة الصمد والمعوذتين، وكثيرا ما ناظر ابو علي مخالفه أو من يريد ان يقنعهم، وتبدى ذلك في عنوانات مجموعة من مؤلفاته اذ كانت تشتمل على كلمة الحجج او الاجوبة او الرد مثل الحجج العشر، واجوبة عن مسائل البيروني، والرد على مقالة الشيخ ابي الفرج بن الطيب . وكتب الحسين في اللغة ((لسان العرب)) رسالة مختصرة في اسباب حدوث الحروف والاصوات وتشرح الحنجرة واللسان، وهي رسالة طريفة لان صاحبها كان ذا حس لغوي وثروة لفظية، وكان في الوقت نفسه طبيبا بارعا في تشريح الجهاز الصوتي، يعرف ظاهره وباطنه وآزر ذلك فيه عقل وقاد يحلل الظواهر ويعللها، ويحسب ترتيب مقولاته .

فهو اذ يتحدث عن سبب حدوث الصوت يحصره في تموج الهواء دفعة واحدة قوية سريعة، ويجعل لذلك التموج سببين : اما القرع واما القلع . وهذا الهواء المتموج يصل الى صمغ الاذن، وينتقل من ثم الى مركز الاحساس . ويجعل في نهاية مقالته مافصله خلالها، فيقول : ((فاذن العلة القريبة - كما اظن - هي التموج، وللتموج علتان : قرع وقلع)) (١)

ويبدو ان اعجاب ابن سينا بأستاذه ارسطو قد دفعه الى احتذائه في نقد الخطابة والشعر، فأفرد للخطابة جزءا من كتابه الشفاء، تحدث فيه عن حدها ومنفعتيها، ووسائل الاستدلال والاسلوب الخطابي . وعاد الى نقدها في كتابه الحكمة العروضية لدى تفصيله معاني كتاب ريطوريتا لارسطو، ودائما يستحذ

المنطق على نقده للخطابة ، ويغلب أسلوب التعقيد لا التحليل .

ويشبه الخطابة الشعر ، فهو عنده جزء من المنطق ، وقد لخص ابن سينا كتاب الشعر لأرسطو في ثمانية فصول ، ضمنها كتابه الشفاء ، واعتمد الترجمة العربية التي قام بها يونس ابن متى القنائي ، غير انه يكتف بالتلخيص ، وانما شرح الغوامض وأورد بعض الامثلة الموضحة من الشعر العربي ، وربما أضاف في شروحه فكرا لم يتضمنها كتاب أرسطو ، كحديثه عن أقسام الشعر اليوناني .

ولابن سينا بحوث كثيرة ، غالباً ما كان يسميها رسائل منها رسالته في البحث على الذكر ، وهي مطبوعة مع جامع البدائع ، ولكن ليست كل رسائله بحوثاً ، فان منها جوابات وخطابات تبادلها مع معارفه ، فقد كتب اليه صديق له رسالة يعرّب له فيها عن لوائح شوقه اليه ، وانشغال فكره حول كتابيه اشارات والمسائل المشرقية ، اذ كان يظنهما مفقودين . . . فطمأنه ابن سينا الى انه مازال يحتفظ بنسخة من الاشعارات وأكثر المسائل المشرقية والقسم الضائع من هذه المسائل صغير يمكن تداركه .

ويعد ابو علي من القلة الذين اهتموا بتدوين سيرهم الذاتية ، ويبدو ان احد تلامذته سأله عنها فأملأها عليه وأخبره عن حاله منذ ولد في خرْمِشَن ، احدى ضواحي بخاري ، ثم انتقاله اليها ، وعيه من كوء وس المعارف ، وشروعه بالتصنيف وتوفي ابوه فتولى بعض اعماله السلطان ، وبدأ التنقل بين مدن المشرق الاسلامي وتنقطع السيرة فجأة من دون ان تكتمل خطوطها العريضة ، فيسد هذه الثغرة تلميذه ابو عبيد الجوزجاني ويتكلم على سائر كتبه ، وتسمنه الوزارة لشمس الدولة ، وشورة الجند عليه ، وحياته العلمية واللاهية ، ووفاته بهمهمذان سنة ٤٢٨ هـ .

ومن طريف ما صنعه ابن سينا انه دون بعض مباحثه الفلسفية بأسلوب قصصي رامز ، كما صنع في حي بن يقظان ورسالة الطير ، وقد تأثر فيهما بفلسفة المشائين اليونان ، وعلى الرغم من انتقاصه مذهبهم في مقدمة كتابه منطق

المشرقيين ، وحي بن يقظان كناية عن العقل ، وهو الشخصية الاولى في هذه القصة القصيرة ، وتقوم معه شخصيات اخرى ترمز الى شهوات الانسان وغرائزه ، وقواه الخيالية والعقلية ، والى عقول الافلاك والاجرام السماوية ، وفي البداية نرى الفيلسوف ينطلق من بلاده ، أي من بدنه وأعضائه ، ومعه رغائبه المختلفة ، ليؤم بعض المنتزهات في عالم العقول ، وخلال طوافه قابل شيخا بهيمي الطلعة متقدم السن هو حي ابن يقظان ، فتتعقد بينهما جلسة محادثة ، تذاكر فيها علم المنطق والغرائز التي تقوي العقل وتعمل على فتنته ، وقوى البدن المختلفة ، وأخبره حي عن حدود الأرض الثلاثة ، ورمز بها الى المركبات المحسوسة ، وهي مـ مـ مـ يدرك الناس كنهه ، والهولول والصورة اللتين تعرفان بالجد والتعليم والاستعانة بالمنطق ، وأخبره عن الانواع المعدنية والنباتية والحيوانية ، والافلاك السماوية التسعة : القمـ عطارذ والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل وفلك البروج الاثني عشر ، والفلك التاسع .

وينهي ابن سينا قصته بهذا الحديث الرائع عن الخالق سبحانه وتعالى : ((... ومن عزاه الى عرق فقد زل ، ومن ضمن الوفاء بمدحه فقد هذى ، قد فات قدر الوصف عن وصفه وحادات عن سبيله الامثال ، فلا يستطيع ضاربها الا بتباين اعضاء . بل كله لحسنه وجه ، ولجوده يد ، يعفي حسنه آثار كل حسن ، ويحقر كرمه نفاسة كل كرم ، ومتى هم بتأمله احد من الحافين حول بساطه غش الدهش طرفه فأب حسيرا ، يكاد بصره يختطف قبل النظر اليه ، وكان حسنه حجاب حسنه ، وكان ظهوره سبب بطونه وكان تجليه سبب خفائه ، كالشمس لو انتقبت يسيرا لاستعلنت كثيرا ، فلما أمعن في التجلي احتجبت ، وكان نورها حجاب نورها . (١)

فهو سبحانه لا يعزي الى مادة ولا صورة ، ولا فاعل ، لانـه خالق كل شيء ، وقد قصر المصمخ ان يوفيه جميل صنعه ، وعجز الواصفون ان يحيطوا بجليل صفاته ، فهو تبارك وعلا ليس لمثله شيء جماله مطلق ، وسخاؤه غير مقيد ، فأیما جمال اذا قيس بجماله خبا ، وكل عطاء مهما استكثر اذا ما قورن بعطاءه

تلاشى ، وان الملائكة المقربين لوهم ادهم بالنظر الى جمال الحق عز وجل اصابه الدهش ، وحجبه الانبهار ، مع انه ليس بينه وبين الجليل حجاب سوى روعة جمال الله ، فلا تملك الخلائق القدرة على تأمله ، ويقرب ابن سينا مايعنيه بالشمس ، فانها اذا كانت ساطعة متقدة منعت الابصار ان تتطلع اليها وتحقق فيها ، ولو انها حجبت بشيء من غمام ولو يسيرا لامكنهم عندها النظر ، واستجلاء معالمها ، وجل الحق ، وله الكمال كله والمثل الاعلى .

لقد ابتغى ابن سينا ان يبين منزلة العقل ومدى اهميته للانسان بالقياس الى غرائزه وشهواته ، فكشف محله ، وعلاقته بالعقول السماوية التي تحدث عنها فلاسفة اليونان ، وعلاقات تلك العقول بالعلة الفاعلة ، اي الله واجب الوجود .

وتمضي رسالة الطير على شاكله حي بن يقظان في الرميطة الطاغية ، فتصور النفس البشرية وهي في صراعها المستمر مع الشهوات ، وكيف تحتاج الى مجاهدات ورياضيات دائمة لكبح جماحها .

وأخر فن أدبي نقف عليه من آثار شعره ، ويظهر أن ابن سينا لم يجمعه في ديوان ، فيسر ذلك ان يدخله ريف ، وان يفقد قسم منه ، وأوفر مجموعة وصلت اليها من شعره صنعها محب الدين الخطيب في تقدمته لمنطق المشرقيين ، وتدور كثرتها على الشيب والدنيا والخمرة والفخر والشعر التعليمي ، والغزل والهجاء والفلسفة . وليست كلها في مستوى فني واحد ، بل يمكن أن نسلکہا في ثلاثة أصناف :

صنف تعليمي ، ونظم عادي ، وشعر مألوف .

ولابن سينا شعر تعليمي كثير في الطب والمنطق ، وحسبك أن تعلم أنه لخص كتابه القانون في منظومة رجزية من ألف وثلاثمائة وستة عشر بيتا مطلعها :

الحمد لله المليك الواحد رب السموات العلي الماجد
ويمثل نظمه العادي قوله مفتخرا :

بأي مآثرة ينقاس بي احد بأي مكرمة تحكيني الامم

اني وان كانت الاقلام تخدمني كذاك يخدم كفي الصارم الخدم
والشبه واضح بين معاني بيته وتنطع ابي الطبيب المتنبي الواسع
في مثل قوله :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
أو قوله :

ان أكن معجبا فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مريد
أنا في أمة تداركها الله غريب لصالح في شمود

غير ان صالحا كان نيعا فياضا بالخير والمنفعة
والسعادة على قومه ، ولم يكن لسان انتفاش وانتفاخ عليهم ،
ولكنه الغرور الارعن الذي يعمي ويصم ويجن الالباب .

على أن أبيات المتنبي موءازرة بأسلوب فني شديد الاسر ،
بعيد التأشير ، وليس كذلك بيتا أبي علي ، وما هما الا كلام
موزون لايشير في النفس الا صدودا عنه وعن تطاوله واغتراره .

أما شعره المألوف فتراه في الموضوعات التي تمس شغاف
النفس وأعماق الاحاسيس ، مثل الحب او الكره والحسد ...

وبما انه كان يهوى الفلسفة ، الهمة هذه صناعة عينية في
النفس ، وعلاقتها بالجسد ، وهو يشبه النفس فيها بيمامة تنزل
- على كره منها - الى الجسد وتذر عالمها المصون في السالف
تاريخها :

هبطت اليك من المحل الرفع	ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت لقاءك وهي ذات تفجع

والقصيدة من عيون شعره ، وقد اعجب بها قوم من اصحاب
القرىض ، وعارضها احمد شوقي ، وعادل الغضيان ، وخالفه الشاعر
الاخير في أساس رأيه .

- ١ - د. أحمد فؤاد الأهواني : ابن سينا الطبعة الثانية
دار المعارف بمصر .
- ٢ - الحسين بن عبد الله بن سينا .
- أسباب حدوث الحروف ، حققه محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
- حي بن يقظان ، حققه أحمد أمين ، دار المعارف بمصر .
- رسالة الطير ، مطبوعة ضمن جامع البدائع ، مطبعة
السعادة ١٩١٧ م /
- الشفاء ، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ١٩٥٦ .
- الشفاء ، قسم الخطابة ، حققه د . محمد سليم سالم
القاهرة ١٩٥٤ .
- القانون ، القاهرة المطبعة العامرة ١٣٩٤ هـ .
- ٣ - د . حمودة غرابية : ابن سينا بين الدين والفلسفة مجمّع
البحوث الاسلامية ١٩٧٢ .
- ٤ - د . شكري عياد : كتاب ارسطو طاليس في الشعر ، دار الكاتب
العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ٥ - د . عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الاسلام ، الطبعة
الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ .
- ٦ - د . عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ، الطبعة الخامسة
دار المعارف بمصر .
- ٧ - علي بن يوسف القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة
السعادة ١٣٢٦ هـ .
- ٨ - الكتاب الذهبي للمهرجان الالفى لذكرى ابن سينا ، القاهرة
مطبعة مصر ١٩٥٢ .

القسم الثاني العلوم الأساسية والتطبيقية

ص			
٤٧	الحصيات الكليوية	كلية العلوم	د. محمد يوسف
٦٩	ضغط وكمية الماء في التربة غير المشبعة	كلية الهندسة	د. شوقي مسعد
٨١	دراسة بيئة الرخويات المائية العذب في بعض اوساط المياه الراكدة والداثمة	كلية العلوم	د. محمد ياسين قصاب
١٠١	دراسة لبعض الظواهر المرضية في مزرعة تسمين اسماك الترويت في السن	كلية الزراعة	د. اسكندر عجان د. عمرو زياشي
١٠٧	الشوندر السكري وحيد البذرة	كلية الزراعة	د. نزيه رقية
١١٥	التعاون الزراعي طريق موضوعي للتطور التقدمي للزراعة في سوريا	كلية الزراعة	د. منذر خدام

